الطائر

مريد البرغوتي

الطائر

تقرعُ البابَ على الأهلِ
وفي صدركَ طيرٌ
ينفر الأضلاعِ باللهفة..
وجناحاه يرفّانِ
استباقاً لانفراج الباب
هذي لحظةٌ للّمْسِ والألفةِ
تدنو.

قفز الطائر من صدركَ حتى
مقبض البابِ
وريشُ الطوقِ لا يحتمل التوقَ
فيهتزُ
تتوق الآن كي تلقى الذين انتظروا عاماً فعاما،

[كنتَ تدنو ثم ترميك صفات الزمنِ الموحشِ عنهمْ
مثلما
وتر القوس رمى عنه السهاما
وترامیتَ طويلاً خارجِ الوقت الشهيّ
اختطفتك الساعة المرّة،
كانت سنوات النأيِ
أقسى من قرون الوَعلِ
أو
ليل اليتامى]

ويرفّ الطائر الممسك بالبابِ
ووقع الخطو يدنو
تقف الآن على الحدّ الذي يفصل وقتينِ
وفي القفل صريرٌ
لمسة المفتاح تسري في شرايينكَ
تصغي
ويدور المعدن الداخل في المعدنِ
يعلو الطائر الأبيض للسقفِ
يسميها سماءً
ويصير اللون لوناً، ويصير الجسم جسماً،
ويصير العمر عمراً،
ويصير الذمّ في الدهر اتهاما.
بأن خيط الضوء في الحافّةِ
وانزاحِ قليلاً ثقل البابِ
تنفست
وكاد الطائر الراعش يبكي

يُفتح البابُ

وماذا قلتَ؟
صوت بارد يهمسُ:
لا يا سيدي - كانوا - وراحوا - من زمان!

كانت الصحراء خلف الباب كثباناً ورملاً يترامى
وبصمتٍ،
كوّم الطير جناحيه وناما
وببطءٍ،
أُغلِقَ البابُ، مشيتْ.
وتوقفتُ قليلاً والتفتّ:
أيها الطائر في الصدر، وداعاً!
أيها الأهلُ... سلاما!

مريد البرغوثي